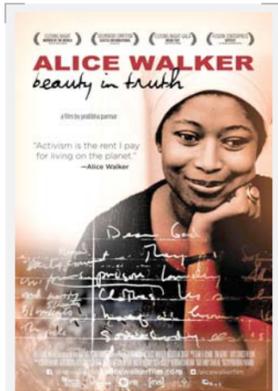


سائرون في عتمة الشاشات يروون سيرهم الذاتية بين الصدق والخيال

أكثر من نصف قرن لهذه المبدعة، التي ما تزال منتجة ومبدعة، إنها خلاصة تاريخ شامل عرفته أرض الولايات المتحدة وخاصة ولايات الجنوب أو ما يعرف بالحزام الأمريكي من السكان السود أو من الأصول الأفريقية، الفتاة التي ترعرعت في عمق الجنوب، في ولاية جورجيا فيما تظهر صورة جدة الكاتبة التي كابدت مأسى التمييز العنصري والعرقى، تظهر الجدة متكئة على عصا بينما تمضي وسط تلك السهوب لتعلن ليس أنها قد استمدت اسمها الفني "وكر" من مسير جدتها وكفاحها المضني، بهذه الصور المتدفقة نتابع فيلم "اليس ووكر" من إخراج بارتيا بارمر.



جمهور أفلام السير الذاتية
متساهل إلى حد كبير في
مسألة المصادقية ومنجذب
إلى القصص في حد ذاتها

وفي إطار جدل المصادقية والواقعية يغوص الفيلم في الحياة الشخصية في إضاءة مهمة تلك السيرة، فتحت وقع ثورة الحريات وأغانى منتصف الستينات، تلقى ووكر كاتباً وفناناً مديناً ولكنه أبيض وديانته يهودية وهو الشاعر والمؤلف المعروف ميلفين ليفنتال، ويرتبطان بسلاسة وثيقة تتوج بالزواج والإنجاب وسط استغراب بالبينتها الفائرة أصلاً على البيض ونزعتهم العنصرية إبان تلك الحقبة، ولهذا كانت على الدوام تردد: نعم أنا مختلفة.

وأما على صعيد الشكل الفيلمي، يقدم الفيلم مزجاً من نصوص ليس ومذكراتها وأجواء الحركات النسائية والمدنية في تدفق مؤثر عميق للشاعرية، وهو ما رفع من شعبية وأهمية اليس في جميع الأوساط على أنها الكاتبة السوداء المتفردة التي ولدت لكي تكون كاتبة ولهذا تواصل جولتها في المدن الأميركية، تقراً من نصوصها وتلقي جمهورها وتعرّف بالنضال من أجل الحقوق المدنية التي نذرت نفسها من أجلها.

هذا المثال المبني على فكرة الصراع العرقية والإثنية بما يحمله من حساسيات فائقة يقودنا إلى تلك المصادقية في تتبع تلك السيرة الغامضة وحيث الشخصيات تسطر تحولاتها وأفكارها على الشاشات، بينما للواقع الحقيقي وجوه أخرى ومرويات موازية، فضلاً عن ركام من الشهادات التي يرويها كل من وجهة نظره.

* ط ع



أفلام تثير جدل المصادقية والواقعية

ما تزال السيرة الذاتية تجتذب جمهوراً عريضاً ماخوذاً بشكل فطري وغريزي إلى جانب المصادقية وكيف نشأت وتطورت تلك الشخصيات الاستثنائية التي استحوذت على الاهتمام، أو أنها حققت حضوراً استثنائياً أو توصلت إلى منجز غير مسبق.

والسؤال الذي يطرح بقوة إنما يتعلق بدرجة المصادقية في أفلام السيرة الذاتية التي يعبر الجمهور العريض بشكل مستمر عن شغفه بها، ولربما منجذب إلى "الصنعة" التي من خلالها تم رسم وبناء الشخصيات وتقديم تحولاتها في شكل سينمائي جذاب.

في هذه الحالة سوف تكون مع جمهور متساهل إلى حد كبير في مسألة المصادقية ومنجذب إلى تلك القصص في حد ذاتها ويقدر ما تحتويه من تحولات درامية وحبكات متقنة وشكل سينمائي جذاب وتشويق ومثقة في المتابعة، وتلك في حد ذاتها إشكالية تواجه صانعي هذا النوع من الأفلام، وذلك في سياق بحثهم عن قصص وشخصيات يمكن الارتكاز عليها بلا مزيد من وجهات النظر المتقاطعة التي تراها من أوجه متعددة.

وفي سياق البحث في المصادقية والتغلغل في تاريخ الشخصيات الأكثر حضوراً وتأثيراً، كانت حقبة نضال السود مثلاً من الموضوعات التي طالما اشتغلت عليها السينما الأميركية، وكان الانتصار إلى فجاج السود هو رائد تلك الأعمال، ليرتافق ذلك مع جدل يتعلق بالحقوق والحريات وبصورة الأميركي الأبيض في مقابل الأميركيان من أصول أفريقية.

في فيلم "هاربيت" للمخرجة كاسي ليمونز، تم تقديم الفصول الأكثر إثارة في تاريخ العبودية الراسخة لقرون في العمل الجمعي للمجتمع الأميركي، وهو التاريخ الحافل بالضحايا والدماء والأحزان وكل ذلك جاء في مقاربة تجمع ما بين الدراما والسيرة الذاتية والتاريخ، لتغوص المخرجة عميقاً في واقع المجتمع الأميركي القائم على الطبقات ونظام الرق وذلك في القرن التاسع عشر.

وكان ذلك الواقع الكابوسي بمثابة قدر لا سبيل سوى التسليم به، لاسيما وأنه مدموم بتشريعات وقوانين صارمة وتطبيق لا يعرف الرحمة على الخارجين عليه، وقد اختارت المخرجة نموذجاً صارخاً من تاريخ العبودية الأميركية هو جانب من سيرة هاربيت، إبان مكسب في خريف العمر وما يزال يلعب دور المراوغ اللعوب على الرغم من بلوغه من العمر عتياً إلا أنه على الرغم من ذلك ما تزال في نفسه حاجة للإيقاع بضحاياه وسرقة أموالهم وترجمهم في مهب الرجح.

على أن الحفاظ على مصادقية الحقيقة التاريخية لسيرة هاربيت لم يمنع بث العديد من الحكايات الثانوية، ومنها مثلاً اكتشاف أن حبيبها الذي أخلصت له وعادت من أجله متحملة المخاطر والمصاعب قد نسيتها وتزوج من امرأة أخرى، وهو ما سوف يشكل صدمة بالنسبة إليها، وأما على الجانب الآخر وفي أوساط البيض فما يزال غيدون يمارس فعل الابتزاز منزعجاً ابني شقيقه هاربيت لكي يكون طعاماً يتيم من خلاله جلب هاربيت للقصص منها.

في المقابل نجد أن فيلم "اليس ووكر" ما هو إلا تلخيص متقن للسيرة الإنسانية كما الإبداعية التي امتدت إلى



انتقام بارد من مجرم لعوب

عجوز مخادع يوقع بضحاياه ببراعة

«الكذاب الجيد» كوميديا سوداء تكشف تاريخ مجرم في خريف العمر

بالأسرار، من قبيل التساؤل لماذا يلاحق روي هذه المرأة تحديداً أو لماذا هي تلاحقه وذلك ما سوف نكتشفه فيما بعد.

الانتقام بعد عقود

لا شك أن المستويات السردية المتعددة هي من أبرز خصائص هذا الفيلم المتميز، وخلال ذلك كان روي يتقمص أدوار شخصيات عدة متنقلاً في ما بينها ببراعة وصولاً إلى تقمصه صفة رجل مافيا ومتحدثاً بلسان شخصيات متعددة، فذلك الرجل الطيب الودود ليس هو بالضرورة من تقابله في اجتماعات عصيبة الاستثمار، فهو هنا رجل شرير ومتقلب ولا يمكن الوثوق به.

على أن الحكمة الثانوية أو الفرعية هي التي ساعدتنا للمضي في هذه الأزمة وهي تنطلق من زيارة روي وبيتي لبرلين، وبالصدفة سوف يقابلان من تدعي بيتي بأنه حفيدها، هنا سوف ندخل لأول مرة في ماضي روي الإنجليزي الذي هو في الأصل هانز الألماني، وبعد أكثر من 50 عاماً سوف نكتشف علاقاته بالنازية وكيف تمكن من الهرب والتملص من مسؤولية قتل صديق له ثم انتحال صفة الصديق القليل وهو يتسه، وكل تلك الحقائق سوف تفتضح تباعاً حتى وصول روي إلى نقطة اللاعودة في تلك الدراما بالاستيلاء على كامل موارد المرأة بعد إقناعها بربح مالي وفير.

في الجانب التاريخي وفي إطار العودة إلى الماضي سوف نكتشف أجواء قائمة تحت سيطرة النازيين ومن خلال شخصية روي المتقلبة وانتهائياته المفرطة والتي ففعتها إلى تغيير شخصيته منتحلاً شخصية أخرى لكن ما لم يكن

حياتنا اليومية تستسلم لمنصات البث الرقمي

الميتولوجيا أو الموضوعات الحديثة من أن تكون نيمات لأفلامها، وتغلغل في داخل عروض باقات الهاتف النقالة فوفرت فرصة لهم باشتراكات بسيطة لوكالة آخر إنجازاتها ووسعت كذلك نطاق استثمارتها باستحواذها على شبكة فوكس القرن العشرين المرموقة فضلاً عن استوديوهات مارفيل وبيكسار.

واقعي نحن أمام ظاهرة لا تقتصر على ديزني لوحدها بل تمتد إلى عموم صناعة الترفيه التي شهدت تحولات كبيرة تلافياً للركود والخسائر التي ترتبت على تفشي وباء كورونا، ولهذا اتجهت هذه المنصات إلى بيوت المشاهدين ووصلت إلى هواتفهم النقالة وغرف نومهم في اختراق غير مسبوق قرب هذه الشركات والمنصات العملاقة من برنامج المشاهدات اليومية لعموم المشاهدين.

بالبطع هنالك ظاهرة النمو الهائل وتضاعف أعداد المشاهدين في ظل جائحة كورونا، وهي ظاهرة قربت العرض الرقمي من جمهور المشاهدين وأصبحت لتقاليد جديدة في المشاهدة، ورست حضور تلك الشركات العملاقة ومنجزها وبالتالي تضاعفت أرباحها وأعداد مشاهديها بشكل غير مسبوق،

الأسرار، من قبيل التساؤل لماذا يلاحق روي هذه المرأة تحديداً أو لماذا هي تلاحقه وذلك ما سوف نكتشفه فيما بعد.

الانتقام بعد عقود

لا شك أن المستويات السردية المتعددة هي من أبرز خصائص هذا الفيلم المتميز، وخلال ذلك كان روي يتقمص أدوار شخصيات عدة متنقلاً في ما بينها ببراعة وصولاً إلى تقمصه صفة رجل مافيا ومتحدثاً بلسان شخصيات متعددة، فذلك الرجل الطيب الودود ليس هو بالضرورة من تقابله في اجتماعات عصيبة الاستثمار، فهو هنا رجل شرير ومتقلب ولا يمكن الوثوق به.

على أن الحكمة الثانوية أو الفرعية هي التي ساعدتنا للمضي في هذه الأزمة وهي تنطلق من زيارة روي وبيتي لبرلين، وبالصدفة سوف يقابلان من تدعي بيتي بأنه حفيدها، هنا سوف ندخل لأول مرة في ماضي روي الإنجليزي الذي هو في الأصل هانز الألماني، وبعد أكثر من 50 عاماً سوف نكتشف علاقاته بالنازية وكيف تمكن من الهرب والتملص من مسؤولية قتل صديق له ثم انتحال صفة الصديق القليل وهو يتسه، وكل تلك الحقائق سوف تفتضح تباعاً حتى وصول روي إلى نقطة اللاعودة في تلك الدراما بالاستيلاء على كامل موارد المرأة بعد إقناعها بربح مالي وفير.

في الجانب التاريخي وفي إطار العودة إلى الماضي سوف نكتشف أجواء قائمة تحت سيطرة النازيين ومن خلال شخصية روي المتقلبة وانتهائياته المفرطة والتي ففعتها إلى تغيير شخصيته منتحلاً شخصية أخرى لكن ما لم يكن

قدمت السينما بشكل لافت شخصيات تعتبر لأخلاقية، ومن خلالها عالجت قضايا تتجاوز النظرة الأخلاقية السطحية إلى عمق الذات البشرية بما يتمازج فيه من خير وشر وانتصار أحدهما على الآخر. فنجد مثلاً شخصيات اللصوص والمحتالين التي تتراوح بين العقد النفسية والجانب الخير فيها حيناً، وتقدم على أنها الشر المطلق في تلونه حيناً آخر.

ما سوف يفعله روي وهو يواعد بيتي (الممثلة هيلين ميرين) التي تقاربه في السن، وهو في الواقع يبحث عن ضحايا يقوم بخداعهم لغرض سرقة أموالهم أو الاستحواذ عليها بشتى طرق الاحتيال.

يؤدي روي خلال ذلك أنواراً متعددة مزدوجة فهو في علاقته مع بيتي يمثل دور العجوز الذي يعاني من صعوبة في المشي ومن عقوق الأبناء مستدراً العطف وهو في علاقته مع ثلة من المحتالين الذين يجتمع بهم للإيقاع بناس أثرياء، فإنه هنا يرأس مجموعة المحتالين إلى درجة التفوق على المافيا الروسية والإيقاع بها وسرقة أموالها.

وهكذا يمضي روي في تعقب بيتي وصولاً إلى الانتقال للسكن معها في نفس المنزل، لكنه خلال ذلك يتمكن من إقناعها بمساعدة زميل محتال مثله بان يجمع ثروتها معاً، وذلك من أجل أرباح وضع اليد على ثروة تلك المرأة.

لا يتورع روي عن ارتكاب أي جريمة في حال تعارضها مع مصلحته وهو ما سيغعله بالفعل مع أحد زملائه عندما ينهي حياته برمييه أمام قطار الأنفاق، ولهذا فإنه يندفع باتجاه الاستحواذ على ثروة بيتي من خلال التودد لها من جهة وإغرائها بأرباح كبيرة وكل ذلك في سياق خطوط درامية تخفي تحتها كثيراً من

طاهر علوان
كاتب عراقي

فكرة المحتال المرح هي التي تشكل مفتاحاً لمثقة الشهادة في دراما من الممكن أن تجمع ما بين الكوميديا والتشويق وبما يتيح للمشاهد أن يتوقع من العديد من الشخصيات في تلك الدراما أن تمضي بالأحداث إلى نهاياتها بكل ما تحمله من مفارقات.

لكن القصة تبدو مختلفة في فيلم "الكذاب الجيد" للمخرج بيل كوندون، الذي سبق وعرفناه في قرابة 17 فيلماً ما بين كاتب السيناريو أو مخرج، وهو يقدم الممثل المخضرم الكبير إيمان مكين في دور روي وقد تخطى الثمانين من العمر في مسيرة حافلة وطويلة عرفه الجمهور خلالها بمشاهدة العشرات من الأفلام والعروض المسرحية، وهو هنا يتألق من جديد وقد بلغ خريف العمر، لكنه ما زال متميزاً في أدائه وقوة تعبيره لاسيما وأنه يلعب في هذا الفيلم دوراً ملتبساً لذلك الكاذب المحتال والمرح.

شبكة المحتالين

في البدء سوف ندرك أنه حتى أولئك الكهول يلجأون إلى برامج التعرف والمواعدة لملء الفراغ في حياتهم، وهو

مع انتشار المنصات الرقمية بكثافة ملقطة للنظر وخاصة بعد جائحة كورونا، التي أدت إلى إغلاق صالات العرض السينمائي، اتجه الجمهور العريض للشاشات إلى المشاهدة المنزلية واستخدام المنصات الرقمية من أمثال نتفليكس وديزني وأمازون وغيرها من عمالقة البث الرقمي.

في المقابل تغذي تلك المنصات حضورها بدخولها في دائرة المنافسة الشديدة مع الشركات التقليدية المعروفة بإنتاجها السينمائي، وتضخ لهذا الغرض أموالاً طائلة في استثمار طويل الأمد في مجال الإنتاج السينمائي.

ومن الملاحظ أن تلك الإنتاجات تتراوح في قيمتها وأهميتها وجودتها صعوداً وهبوطاً، ما بين المستوى العالي ذي الجودة العالية إلى أفلام سد الفراغ أو تلك التي تخاطب جمهوراً محدوداً، وفي بعض الأحيان تغلب صفة السطحية على العمق المطلوب.

قدمت ديزني مثلاً مؤخرًا أحد آخر الأفلام المأخوذة من الكوميكس وسلسلة مارفل، وذلك من خلال فيلم "الأملة السوداء"، ولضمان النجاح جلبت ديزني الممثلة الشهيرة سكارليت جوهانسون التي سرعان ما دخلت في نزاع طويل مع ديزني، وذلك بسبب مشكلة البث الرقمي